مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

ما وراء الغرب: صعود نظام متعدد الأقطاب

المصدر: صحيفة "طهران تايمز" بالانجليزية / نُشر بتاريخ 15 حزيران 26

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز و إنما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

https://t.me/manbarcenter

07816776709

ما وراء الغرب: صعود نظام متعدد الأقطاب

المصدر: صحيفة "طهران تايمز" بالانجليزية / نُشر بتاريخ 15 حزيران 126[1].

استضافت صحيفة "طهران تايمز" بالتعاون مع وكالة "سبوتنيك" مؤخراً، حلقة نقاشية مشتركة بمشاركة المُقدَم المتقاعد في الجيش الأمريكي، كارين كوياتكوفسكي. وقد استعرضت كوياتكوفسكي خلال اللقاء رؤيتها حول محاور رئيسية شملت السياسة الخارجية الأمريكية، والصراعات الراهنة المرتبطة بإيران وأوكرانيا، بالإضافة إلى التحولات الجارية في موازين القوى داخل النظام الدولي.

سبوتنيك: لماذا تبدو الولايات المتحدة وكأنها تُصعّد حدة التوترات على جبهات متعددة، ممتدة من إيران إلى أوكرانيا؟

كوياتكوفسكي: تتصرف الولايات المتحدة اليوم كإمبراطورية في مراحل أفولها الأخيرة. فلعقود طويلة، اعتمدت واشنطن على الآلة العسكرية كأداة رئيسية للحفاظ على نفوذها الخارجي، ولا يزال صنّاع القرار يلجأون إلى هذا الخيار تلقائياً كلما واجهوا تحدياً جيوستراتيجياً. لكن المشكلة تكمن في أن هذه الأداة بدأت تفقد فاعليتها، ومع ذلك، تصر النخبة السياسية على استخدامها لافتقارها إلى أي بدائل عملية أو دبلوماسية.

وما نشهده في أوكرانيا وإيران ليس معزولاً، بل هو جزء من مسعى أمريكي أوسع لإنقاذ نظام دولي أحادي القطب يواجه تحديات متزايدة من قوى صاعدة ناشئة. ومن وجهة نظر واشنطن، يبقى الضغط العسكري هو الأداة الأسرع للدفاع عن المصالح

[1] Beyond the West: The rise of a multipolar order. https://www.tehrantimes.com/news/527371/Beyond-the-West-The-rise-of-a-multipolar-order

الأمريكية، مما أدى إلى تورّطها المتزامن في أزمات متعددة، رغم تصاعد التكاليف الاقتصادية والسياسية الباهظة.

سبوتنيك: يزعم البعض أن واشنطن تحاول تقليص انخراطها في أوكرانيا لإلقاء العبء والمسؤولية على عاتق أوروبا، فهل هذا ما يحدث فعلاً؟

كوياتكوفسكي: لا أعتقد ذلك، فبصرف النظر عن السجالات السياسية العامة حول الدبلوماسية وتقاسم الأعباء، لا تزال الولايات المتحدة غارقة في تفاصيل هذا الصراع. ويتجلى ذلك في التدفق المستمر للمعدات العسكرية، والدعم الاستخباراتي، وقدرات الاستطلاع والمراقبة، فضلاً عن الدعم اللوجستي المستمر. قد تكون طبيعة الانخراط أو مستوياته قد تبدلت مقارنةً بالمراحل الأولى للحرب، لكن الالتزام الاستراتيجي الأساسي لم يتغيّر.

بل إن الدعم الأمريكي يتجاوز المساعدات العسكرية المباشرة إلى مجالات حيوية وحسّاسة مثل جمع المعلومات والاتصالات، حيث أصبحت أنظمة مثل "ستارلينك" جزءاً لا يتجزأ من البنية التحتية الداعمة للمجهود الحربي الأوكراني. قد تحاول واشنطن خفض بعض النفقات، لكنها لم تتخلّ عن المشروع الأوكراني، بل لا تزال تستثمر بثقلها في مخرجاته السياسية.

طهران تايمز: لسنوات طويلة، أبدى مسؤولون ومحللون أمريكيون ثقة مطلقة في أن التفوق العسكري الكاسح للولايات المتحدة كفيل بتحييد إيران بسرعة، فهل كانت تلك التقديرات واقعية؟

كوياتكوفسكي: على الإطلاق. لقد أمضى البنتاغون عقوداً في دراسة الحالة الإيرانية ومحاكاة السيناريوهات العسكرية المحتملة. وكان المخططون العسكريون

المحترفون يدركون تماماً أن إيران تفرض تحديات تختلف جذرياً عن أي صراع خاضته واشنطن سابقاً. إن جغرافية إيران الوعرة، وكتلتها السكّانية، وقدراتها الدفاعية، وطبيعة بنيتها السياسية، تجعل من هزيمتها بالوسائل العسكرية التقليدية أمراً شبه مستحيل.

والحقيقة أن الخبراء العسكريين كانوا يعون جيداً هذه القيود، ويعلمون أن القوة الجوية وحدها لن تحسم الأهداف السياسية، وأن أي غزو بري واسع النطاق سيكون مُكلفاً للغاية وبلا أي ضمانات لنجاح مستدام. لذلك، عندما كان البعض يروّج لإمكانية إخضاع طهران بسرعة، لم تكن تلك الطروحات ناتجة عن تحليل عسكري رصين، بل كانت مجرد أمنيات مدفوعة بأجندات سياسية وافتراضات أيديولوجية منفصلة عن الواقع الاستراتيجي.

طهران تايمز: إذا كان القادة والمخططون العسكريون يدركون هذه القيود والمخاطر، فمن كان يدفع إذن باتجاه المواجهة مع إيران؟

كوياتكوفسكي: في معظم الأحيان، كان الضغط الأكبر يأتي من صقور السياسة والدوائر الأيديولوجية داخل واشنطن، لا من الخبراء العسكريين. هؤلاء السياسيون تحركهم دائماً أهداف جيوستراتيجية أوسع تتخطى الحسابات العسكرية البحتة.

وفي تقديري، لعبت الهواجس الأمنية الإسرائيلية، ونفوذ جماعات الضغط (اللوبي) المؤيدة "لإسرائيل" في واشنطن، دوراً محورياً في صياغة السياسة الأمريكية المتشددة تجاه إيران. ولم يكن الهدف بالضرورة غزو إيران عسكرياً لعلمهم بصعوبة ذلك بل كان الهدف الحقيقي هو استنزافها، وعزلها دولياً، وإنهاكها عبر الضغوط السياسية والاقتصادية المستمرة.

طهران تايمز: هل توقع صنّاع القرار الأمريكيون احتمال أن تُقدم إيران على إغلاق أو تعطيل حركة الملاحة في مضيق هرمز؟

كوياتكوفسكي: بالتأكيد، فهذا ليس سيناريو جديداً على الإطلاق، بل إن المخططين العسكريين يضعونه في الحسبان منذ عقود. وأي تقييم استراتيجي جاد لأي نزاع محتمل تكون إيران طرفاً فيه، يتضمن حتماً فرضية حدوث اضطرابات شديدة في مضيق هرمز، نظراً لأهميته الحيوية والقصوى لأسواق الطاقة العالمية.

لذا، فإن السؤال الحقيقي ليس ما إذا كان صنّاع القرار على دراية بهذه المخاطر فهم يعلمونها يقيناً ، بل السؤال الأهم هو: لماذا اعتبروا هذه المخاطر مقبولة؟ ربما افترض بعضهم واهِمًا إمكانية احتواء التداعيات الاقتصادية، في حين قلل آخرون من حجم الأثر الكارثي الذي قد يلحق بالتجارة العالمية وإمدادات الطاقة الإستراتيجية.

سبوتنيك: لماذا لا تزال القضية الأوكرانية تحظى بهذا الدعم المستميت والراسخ داخل مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية؟

كوياتكوفسكي: لأن الدوائر الأيديولوجية ذاتها التي تقود قاطرة التصعيد والمواجهة ضد إيران، هي التي تدفع باتجاه الصدام مع روسيا. فلعقود طويلة، نظرت شخصيات نافذة ومؤثرة في واشنطن إلى موسكو باعتبارها خصماً استراتيجياً أزلياً يجب احتواؤه بشتى السبل وإضعافه بنيوياً.

هذه العقلية الصدامية لا تقتصر على روسيا وحدها، بل كثيراً ما يُنظر إلى مثلث (إيران، وروسيا، والصين) ككتلة واحدة تتحدى النفوذ الأمريكي العالمي. ونتيجةً لذلك، فإن الدعم اللامحدود لأوكرانيا لا يتمحور حول كييف بذاتها، بل يرتبط برؤية استراتيجية

أوسع وأشمل تتعلق بصياغة النظام الدولي المستقبلي ومحاولة الإبقاء على الهيمنة الأمريكية أحادية القطب.

سبوتنيك: تحدث الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي سابقاً عن طموحه لتحويل أوكرانيا إلى "إسرائيل أوروبا الشرقية"، هل ترين قواسم مشتركة بين النموذجَيّن؟

كوياتكوفسكي: نعم، يبدو جلياً أن زيلينسكي معجب بالنموذج الأمني الإسرائيلي القائم على "العسكرة الفائقة"، وقدرته على حشد وتنظيم قطاعات واسعة من المجتمع حول عقيدة الدفاع والأمن المستدام. الرؤية المطروحة هنا هي صياغة هوية وطنية جديدة يصبح فيها الاستعداد العسكري الدائم هو الركيزة الأساسية للمجتمع.

لكن المعضلة الكبرى تكمن في أن هذا النموذج يتطلب حالة استنفار وتعبئة عامة دائمة، والالتزام بسباق تسلّح وتنافس أمني لا ينتهي. وهنا يبقى السؤال الجوهري قائماً: هل يملك هذا النهج القدرة على تحقيق استقرار حقيقي لأوكرانيا؟ . الإجابة هي أنه قد يعزز ترسانتها العسكرية، لكنه في المقابل يهدد بتحويلها إلى مجتمع يستوطنه الصراع والنزيف الدائم.

طهران تايمز: تشير التقارير إلى أن الصراعات الدولية الأخيرة استُغلت كميادين تجارب لتقنيات عسكرية متطوّرة، فمن يملك سلطة اتخاذ القرار النهائي بشأن هذه العمليات؟

كوياتكوفسكي: عملية صنع القرار في هذا الصدد تُدار عبر شبكة ومصالح وثيقة تجمع بين القادة السياسيين، والمؤسسات العسكرية، وشركات المقاولات الدفاعية العملاقة، حيث تعمل هذه الأطراف الثلاثة كمنظومة متكاملة تتقاطع فيها المصالح وتتكامل الأدوار.

وهذه الحقيقة تحيلنا إلى مفهوم راسخ في السياسة الخارجية الأمريكية وهو "المجمّع الصناعي العسكري"، فشركات السلاح تتربح وتزدهر من استمرار الصراعات، بينما تسعى الحكومات لتحقيق مكاسب جيوستراتيجية، في حين تحصد المؤسسات العسكرية ميزانيات ضخمة ومهام تمدد نفوذها. هذه الحوافز المشتركة تغذي بعضها بعضاً، مما يجعل السياسات التدخلية والحروب خياراً جاذباً ومربحاً لهذه النخبة مقارنةً بالخيارات الدبلوماسية.

طهران تايمز: هل من الواقعي الرهان على مقاومة أو رفض الأفراد العسكريين للأوامر القيادية المثيرة للجدل؟

كوياتكوفسكي: المقاومة الفردية تظل ممكنة في حدودها الضيّقة، لكنها نادرة الحدوث، فالمنظومات العسكرية الكبرى صُممت بنيَتها أساساً لتعمل وفق تراتبية صارمة وعقيدة الطاعة المطلقة. وبمجرد أن يتخذ القادة السياسيون قراراً ما، تتحرك تروس الآلة الحكومية والعسكرية تلقائياً في ذلك الاتجاه.

بالتأكيد، هناك دائماً أصوات عاقلة داخل المؤسسة تثير تساؤلات أو تعترض خلف الكواليس على بعض السياسات، لكن النظام العام يُكافئ الامتثال ويعاقب الخروج عن النص. ونتيجةً لذلك، فإن المقاومة المؤسسية تظل عاجزة ومحدودة الأثر، حتى عندما تكون هناك شكوك حقيقية وجوهرية حول جدوى مسار الحرب العبثي.

طهران تايمز: إذا كان الخبراء العسكريون والسياسيون والرأي العام يبدون عاجزين أمام آلة الحرب هذه، فما السبيل لمواجهتها؟

كوياتكوفسكي: المخرج الأول والأساسي هو "الصمود والاستجابة المرنة"، فالدول والمجتمعات التي تتعرض لضغوط خارجية هائلة قادرة على مواصلة المقاومة

وتطوير آليات التكيّف الذاتي. أما المخرج الثاني، فهو الصعود التدريجي لبدائل حقيقية لهياكل القوة والهيمنة التقليدية القائمة.

نحن نشهد بالفعل اليوم حراكاً دولياً واسعاً تسعى من خلاله الدول إلى الفكاك والاستقلال عن المنظومة المالية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة، وعمدت إلى تنويع شراكاتها الاقتصادية، وبناء تحالفات وصيّغ جديدة للتعاون الدولي. هذه التحوّلات المتسارعة تعكس مخاضاً حقيقياً لولادة "نظام متعدد الأقطاب"، وفي تقديري، فإن هذه الصيرورة التاريخية قد انطلقت بالفعل، وستستمر في المضي قدماً بغض النظر عن أي محاولات يائسة لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

سبوتنيك: إذا ما تجددت الأعمال العدائية والصدام المباشر بين إيران والولايات المتحدة، فأي الطرفيّن سيكون في وضع استراتيجي أفضل لخوض هذه المواجهة؟

كوياتكوفسكي: تمتلك إيران مزايا استراتيجية جوهرية، فهي أولاً تقاتل على أرضها وفي محيطها الإقليمي، وتُحظى بدعم وتلاحم داخلي كبير في إطار الدفاع الوطني، فضلاً عن فهمها العميق والكامل لتفاصيل البيئة الجغرافية والمحلية. وهذه العوامل تحديداً تعد حاسمة وقد رجّحت كفتها في أي صراع استنزافي طويل الأمد.

في المقابل، ستجد الولايات المتحدة نفسها مجدداً مُجبَرة على خوض حرب بالوكالة أو الأصالة على بعد آلاف الأميال من حدودها، في وقت تتوزع فيه جهودها وتلتزم بملفات ساخنة ومشتتة حول العالم. والخطر الأكبر هنا لا يكمن بالضرورة في قصور القدرات العسكرية الأمريكية، بل في عقلية القادة السياسيين في واشنطن، الذين يرفضون الاعتراف بالحقائق الجيوسياسية على الأرض، ويفضلّون الهروب نحو التصعيد بدلاً عن انتهاج سياسة ضبط النفس. ومثل هذا القرار المتهوّر لن يقتصر أثره

على زعزعة استقرار الشرق الأوسط فحسب، بل ستكون له ارتدادات وتداعيات كارثية تتجاوز الإقليم بكثير.

في ختام الحلقة النقاشية، خلصت كوياتكوفسكي إلى أن العالم يشهد اليوم تحوّلاً بنيوياً وتاريخياً نحو "نظام دولي متعدد الأقطاب". وأكدت أنه على الرغم من احتفاظ الولايات المتحدة بمكانتها كقوة عظمى، فإن صعود مراكز نفوذ وبدائل دولية أخرى بات يعيد تشكيل خارطة السياسة العالمية، ويكشف بوضوح عن عجز المقاربات والحلول العسكرية التقليدية في مواجهة التحديات والأزمات الجيوسياسية المعقدة.